

المرأة في الحرب الكبرى

## من مظاهر البسالة النسوية

## حوادث واقعية

ببلم الحوري بطرس روفائيل

قوة كامنة تبدو في الاخطار والاهوال ، فتحمل صاحبها على  
 اعمال يندر وجودها وحدوثها في عامة الناس .  
 الرجل الباسل تصفرُ في عينه عظام الامور ، يسير في  
 سبيله غير هَيَّاب ، ليس عنده للحياة قيمة ولا يعرف لها معنى الا اذا أنجز ما  
 رآه واجباً مفروضاً عليه .

الرجل الباسل قلبه قَدَّ من الصخر ، وعزمه صُنع من الفولاذ ، وارادته  
 أفرغت في قالب من الحديد ، تثبت امام العواصف وتردري بالمهالك . لا شيء  
 يثنيه عن قصده مها صعب ، ولا يعوقه عائق مها ثقل ، ولا يمنعه مانع مها  
 عظيم .

تلك صفات لا نراها في المرأة غالباً ، لما هي عليه من دقة الشعور ، وتقلب  
 العواطف ، وحدة المخيلة المجتمة للحوادث والمعظمة للمفزعات .  
 على ان الحرب الكونية قد كشفت لنا القناع عن امور لم تكن لتدور  
 في خلد احد ، وعرضت للعيان من المناظر ما لم يكن بالحسبان .  
 صلبت المرأة قلبها ، وشحذت عزمها ، وشدّدت ارادتها ، وقبّدت مخيلتها  
 وحاساتها ، فبرزت الى ميدان البسالة وظهرت فيه بظهور الابطال .  
 كتبت ملكة بلجيكة شهيدة الوطنية والامانة آية ذهبية لابنها ليوبولد  
 قالت : « الشجاعة لا تقوم بالانفاظ الجميلة بل بالعمل » .

وقد صدق قورا هذا في كثيرات من الجنس اللطيف كبيرات وصغيرات ،

سواء أكنَّ من دُول الحلفاء ام من الماتية والنمة  
أجل انه لوافر عدد النساء اللواتي أبدین من الشجاعة والجَلد وعلو الهمة  
والاقدام ما جعل اسمهنَّ مجيداً يُسَطَّرُ بالاعجاب والفخر في تاريخ الحرب الطاحنة  
الساحقة . فأتینَ بالنساء البواسل كما يُلقَّب الرجال بالابطال . وقد نقل الينا  
کتاب الجرائد والمجَلَّات اسما عديدات منهنَّ نکتفي بايراد بعضها جبا بالاختصار ،  
لا خوفاً من الملل والاضجار .

\*\*\*

في آخر شهر آب من سنة ١٩١٤ لعبت خمرة الانتصار يرؤوس الالمان ،  
فكانوا العدو الذي لا يلين ولا يشفق . مدافعهم لا تسكن ولا تسكت ،  
بل تمطر فرسة وابلاً من القذائف من ورائها الموت الاحمر ، وقد نشروا اليأس  
والذعر في كل ارض اجتاحتها .

وفي صباح يوم اقبلت شرادم الجنود الفرنساوية مرتدة على عقيا ، يرافقها  
بعض نقالات تحمل عدداً من الجرحى . دخلت مدينة سواسون ، فهامت لمراها  
قلوب السكان . وما مضت برهة حتى صدر امر السلطة باخلاء المدينة ، فهجرت  
في مدة ثلاثة ايام . ولم يبقَ من اهلبا ، وعددهم خمسة عشر الفا ، سوى الفين  
فقط . اكثرهم من ذوي العاهات ، ومن الشيوخ والنساء والمرضى والجرحى الذين لم  
يتيسر نقلهم الى جنوب فرسة ، لان الالمان كانوا اطلقوا قنابلهم على الاسلاك  
الحديدية والمصطة فخربوها .

وقفت حياة المدينة ، وساد عليها السكون ، وخيم عليها الحزن والجزع .  
تزع الوجها . ورجال الحكومة ، وأخلوا مراكزم ملقين على عاتق امرأة عب  
المحافظة على النظام وادارة شؤون البلدة . هي السيدة ماشريز ، رئيسة جمعية  
السيدات الفرنساويات ، ومديرة المستشفى . قبلت ان تتحمل تلك التبعة وقامت  
بأعبا . وظيفة الصمدة بكل نشاط . فسرعت تعتني بحدوابة الجرحى والمرضى ،  
وتهم باعالة الشيوخ والمجانز . تقضي ليها بالسهر ، ونهارها بالحركة والعمل .  
ولما اشار عليها الجنود المتقهرون بالرحيل ، وأنباوها بان العدو يتعقبهم على بُعد  
بضعة كيلومترات ، اسرعت فنقلت الجرحى منهم الى المستشفى ، ووزعت

الطعام على الاصحاء. قائلة لهم: « اتمدوا انتم واذهبوا بسلام . فاني قادرة على الدفاع وحدي عن المدينة وما فيها . »

ولم تمض برهة حتى دخل الالمان الى -واسون ، واقبل قائدهم ، الى مركز الحكومة طالباً مقابلة العمدة . فتقدمت اليه السيدة . اشريز وقالت :  
ما تبثني ؟

— مقابلة الحاكم .

— انا هو . واني لمسزولة عن كل شخص وعن كل امر .

— اريد ان ارى الجرحى اهل بينهم جنوداً اصحاء .

— زُرهم ، ولكنني لا أدعك تمشي واحداً منهم .

جرت حديث طويل ومناقشة شديدة بينهما أظهرت في اثنائها تلك السيدة من الغيرة ورباطة الجأش ما جعل القائد الالمانى يتصفر نفسه امامها . ثم استطرد في الكلام وقال بجدّة :

— اريد ان تقدمي لجنودي ، على سبيل الغرامة ، سبعين الف كيلوغرام من العلف . ومثلها من اللحم المقدّد . وعشرين الف كيلوغرام من التبغ والسيجار .

— انن تطلب . بني القبر لاهل من طابك هذا . لان المدينة خالية من الزاد وما فيها يكاد لا يكفي الجرحى والعجزة من اهاليها .

— واذا احترت المدينة ودسرتها فما تفعلين ؟

— لا أدعك تفعل ذلك ، قبل ان يزقني الرصاص .

فرقف القائد مبهتاً امام بسالة « حاكة سواسون » . وأخذ غضبه ، ورأى ان لا مندوحة له عن الاتفاق . فرضي ان لا يُيسر المستشفى بسوء ، وان يدع الشيوخ والجرحى والنساء في راحة ، وان تُصان حياتهم ومنازلهم ، مقابل بعض حاجات تقدمها للجنود ، وقد فرضت على نفسها غرامة تهبها من مالها الخاص .

هذا ما جرى . وهكذا حفظت هذه البسالة مدينتها من الحريق والدمار . الى ان عادت الجنود الفرنسية . واسترجعتها في معركة الايسن الشهيرة ، التي فيها اصابت شطايا قبيلة السيدة اشريز جرحاً جرحاً بالاً . الا انها سُفيت رحمة

بالانسانية فاستأنفت اعمالها الخيرية الفاضلة .

\*\*\*

ويشبه هذه الرواية رواية اخرى جرت مع السيدة جوليا ديل في جريفيلر، في مقاطعة الوزيل . اشتهرت هذه السيدة ايضاً بشجاعتها واقدامها ودفاعها عن حياة كثيرين من الجنود والمرضى . وقبل اخلاص المدينة عهد اليها حاكم المقاطعة ادارة شؤون البلدة كعمدة لها . فلما دخل الاعداء اليها في شهر آب سنة ١٩١٤ ، أُقبل قائدهم ، والمسدس في يده ، فولج دار الحكومة وسألها : اين المحافظ ؟

— انا هو .

— أعندك هنا جنود مختبئون ؟

— كلا ليس عندي سوى الجرحى والمرضى .

— اريد ان اراهم .

— لا بأس . وانما لا اسمح لك ان تمد يدك الى احد منهم .

ولكن شتان بين ما وعد وما فعل . فاطننت رجلاً محال الجرحى الفرنسيين حتى امر بطرحهم على الحضيض . ورضع في مكائهم على الاسرة ٢٥٨ جريحاً من رجاله . وأكره السيدة جوليا على ان تعني بهم . فأذعنت واهتمت بدواوة جميع الجرحى ، بينما كان جنوده ينهبون المدينة ويدترونها . ولم يبقوا منها الا على شمة بيوت . واما سائر ابيتها فُجملت طعمة للنار .

وفي شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ احتل الالمان بلدة وعزموا ان يقتلوا اهلها ويجرقوها بالنار ، لانهم وجدوا بعض الجنود المسلحة مختبئين في منازلها . قامت السيدة ماري مارون ، وهي في الثامنة والعشرين من عمرها ، وقدمت نفسها ضحية عن السكّان كلهم . وقالت انها هي التي اخفت الجنود في بيتها . فأخذت الى الساحة وأطلق عليها الرصاص . فذهبت شهيدة الواجب والرحمة .

\*\*\*

ولم تحصى البسالة بعمر من الاعداء بل امتاز بها الصغيرات انفسهن . ولا يزال الفرنسيون يذكرون دنيز كارتيه ، تلك البنية اللطيفة العواطف ، ولم

تتجاوز التاسعة من سنّها . سقطت عليها قنبلة من احدى طائرات الالمان المحلقة فوق باريس فقالت وهي في النزاع : « ارجو منكم ان لا تطلقوا امي ، وقولوا لها ان جرحي خفيف . » ثم فارقت الحياة .

وفتاة اخرى في الرابعة عشرة من عمرها هامت بحب وطنها فخصصت لخدمته شهانها وعملها وتولت في ادارة التلفون ولما دخل الالمان بلدتها ، فرّ الافرنسيون من امامهم . الا ان هذه البسالة الصغيرة ظلت في مكانها تُكَلِّم اهل القرى المجاورة وتعلمهم ان الاعداء قربوا فطليهم ان يكونوا على حذر . الى ان سقطت عليها قنبلة من قنابل المدرّ . فزقتها وهي قابضة على ستاعة اتلفون ، وهذه كلماتها الاخيرة : « احتاطوا لانفسكم ... ها قد اقترب المدرّ ... آه ... ها قد وقعت قنبلة ... تلك القنبلة قتلتها إرباً ارباً وقطعت كلامها .

وما نسي الانكليز الآنة رويين ، ابنة احد الجنود ، البالغة السادسة عشرة من عمرها ، ذكر اسمها في الجيش مع من اتوا الاعمال الباهرة لانها اوصلت الى رئاسة اركان حرب المرشال فرنش رسم قناة لأبسه ، وساعدت الجنود باستعلاماتهم ، وهي واقفة امام النار ، على تدمير المواقع الالمانية .

ومن عمر الآنة رويين كانت الآنة كلوتيد بوكري ، حفيدة كبير رجال المطافي في فرنسة . لما وصلت اورطة من المشاة الفرنسيين الى افريشي بالقرب من كلارمون في الواز ، وكانت وقائماً مع العدو في الايام العالفة قد افنت ذخرتها وأهكت قواها ، فاعتنى السكان بافرادها وأورهم خارج القرية في رواق نسيج الارجا . تكفلت كلوتيد بتسويتهم . وكانت طول النهار ذاهبة آتية حاملة الخضر والفواكه . ولما اقترب الاعداء . من تلك النواحي اسرعت الى الرواق ونهت الملازم فقال لها : « لا تضطربي يا بنيتي فان طلبوا شعيراً فارسلهم الينا ونحن نجيبهم بما يلزم » . وما هي بضع دقائق حتى التقت الصبية في زاوية شارع بجيالة منهم فاحاطوا بها ورتجها نحوها اسنة رماحهم ، وصرخوا بها : « قفي واصدقينا القول والاحذار حذار من مدس الملازم » .

وقفت كلوتيد ونظرت اليهم نظرة من لا يخاف واجابت : « ساعدتكم

الجواب » .

— هل في القرية جنود فرنسيون؟ اياك والكذب والآ...  
 — انا لا اخاف الوعيد والارهاب اجيبكم يا اعرف. لا جند هنا. \*  
 قالت هذا وتباعدت. اما البروسيون فاخذوا في السير الى الامام. ثم التفت  
 واحد منهم فجأة وقال: «تعرفين يا بنية اين نجد شيراً وتبناً؟»  
 فأبرقت عيناً كلوتيلد وتبسم ثغرهما ابتسامة خفية واجابت بهدوء. كأنها  
 تردري بالموت: «تحدون مطلوبكم هناك... في طرف الشارع... على  
 الشال... في رواق...»

قالت هذا واسرعت مُجددة وراء الجنود لترى نهاية الرواية وهي بطلها.  
 جدت وراء الظفر... او الموت... طرق أذنيها دوي بندق ثم صراخ  
 فتجاديف فسكوت تبعه هتاف الانتصار. ركضت الى الرواق فاذا بسبعة جنود  
 من الاعداء مطروحين على الخضوض مضرجين بدمانهم. اما الباقون منهم فقد  
 استسلموا، ولم ينل الفرنسيون الا بعض جراحات خفيفة. فرققت فرحاً وتنتقلت  
 من واحد الى آخر مهتة الجميع، ثم قالت بصوت مؤثر: «اسألکم شيئاً واحداً  
 لا تُضروا بهؤلاء ولا تُلحقوا بهم شراً».

ما اكبر من يجمع بين البسالة في الاخطار والحنو والرقّة أ

